النماذج الداخلية العاملة للتعلق عند بولبي

Bowlby's Internal Working Models of Attachment

سامية رابر*
طالبة دكتوراه، جامعة البليدة 2 لونيسي علي
Samia Raber
PhD student. LABORTORY LANGUAGE-COGNINITON- INTERACTION, University Blida 02 Lounici Ali
s.raber@univ-blida2.dz

نوارة تواتي
أستاذة، جامعة البليدة 2 لونيسي علي
Nouara Touati
professor, University Blida 02 Lounici Ali
n.touati@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/06/26 تاريخ القبول: 2024/02/22 تاريخ النشر: 2024/05/30

- **الملخص:** يحتلّ مفهوم النماذج الداخلية العاملة (Modèles interne Opérants) مكانة هامة في نظرية التعلق، بما أنّه يمثّل حجر الأساس في تكوين مفهوم الذات والاعتقادات المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية. فمن خلال التفاعلات الحسية والعاطفية بين الأمّ (أو البديل) والطفل تتشكّل أنماط التعلق للفرد، وبحسب نوعية الاهتمام والرعاية فإنّ الطفل يطوّر نماذجه الداخلية العاملة تدريجيا إلى أن تستقرّ، وتصبح تهيمن وتمارس نوعا من السيطرة والتحكّم في اعتقادات وإدراك الفرد لنفسه ولغيره، حيث يوافق كل نمط تعلق نموذج عمل خاص به، ولتوضيح النواة المركزية لنظرية التعلق سنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على هذا المفهوم الذي لا يزال غامضا ويساء فهمه.

خلصت الدراسة إلى أن علاقة إيجابية بين التعلق الآمن والصحة النفسية، وأنّ التعلق غير الأمن هو عامل ضعف للمظاهر النفسية المرضية، وقد أكّدت الدراسات على وجود صلة بين التعلق القلق المنشغل والاضطرابات الداخلية، والتعلق المتجنب والاضطرابات الخارجية، ومزيج من الاضطرابات النفسية في التعلق غير المنتظم، كما يمكن أن توجد بعض الأمراض النفسية في كلّ أنماط التعلقات غير الآمنة مثل الحالات الحدية. وعلى هذا الأساس، أوضّح بولبي (1980) بأنه لكي يكون الفرد قادرا على التنبؤ وتنظيم عالمه، فهو بحاجة إلى نموذج آمن مستمد من محيطه يساعده على تفجير قدراته الكامنة وطاقاته المخزّنة، على اعتبار أن هذه النماذج الداخلية هي خرائط تُستعمل للتنبؤ بإدراك الذات وبسلوك الآخرين في الحياة الاجتماعية.

- **الكلمات المفتاحية:** النماذج الداخلية العاملة، التعلق، أنماط تعلق الراشدين، التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية.

- **Abstract:** The concept of internal working models is the core in the attachment theory since it represents the cornerstone in the construction of self- concept and beliefs related to social relations through the sensitive and emotional interaction between the mother and the infant,(or the figure) the attachment patterns of the individual are constructed, and according to the quality of attention and caregiving, the child gradually develops his internal working models until they stabilize, and it becomes dominating and exercising a kind of control over the individual's beliefs and perceptions of

*- المؤلف المرسل

himself and others, as each model. in this context, we will try to shed light and understand the theory of attachment, which is still considered vague and misunderstood.

The study concluded that a positive relationship between secure attachment and mental health, and that insecure attachment is a factor of weakness for psychopathological manifestations, and studies have confirmed a link between busy anxious attachment and internal disorders, avoidant attachment and external disorders, and a combination of psychological disorders in irregular attachment, and some mental illnesses can be found in all types of insecure attachments such as borderline cases. On this basis, Bowlby (1980) explained that in order to be able to predict and organize his world, an individual needs a safe model derived from his surroundings that helps him to explode his potential and stored energies, since these internal models are maps used to predict self-perception and the behavior of others in social life.

- Keywords: Internal Working Models, Attachment, Adult attachment styles, Insecure attachment and psychological disorders.

1- مقدمة :

تعتبر نظرية التعلق التي صاغها لأوّل مرّة عالم النفس الانجليزي (John Bowlby) واحدة من أهمّ نماذج التنظير التي تعنى بدراسة النمو العاطفي والاجتماعي للطفل، فمصطلح "التعلق" يشير إلى حاجة وميل الطفل إلى إنشاء رابطة مستقرّة وآمنة مع صورة التعلق (أغلب الأحيان تكون الأمّ)، وأنّ اشباع هذه الحاجة الفطرية يمثّل مظهرا من مظاهر النمو النفسي والاجتماعي السليم، الأمر الذي يولّد لدى الطفل مشاعر "التعلق الآمن"، أمّا العلاقة المضطربة وغير المستقرّة تؤدّي إلى تكوين " تعلق غير آمن ".

لهذا فإنّ الأنماط التعلقية تتشكّل من تجارب الشخص في مرحلة الطفولة وتستمرّ إلى مدى الحياة بفضل "النماذج الداخلية العاملة"، فهذا المفهوم الذي حدّده بولبي أحد أهم العناصر الأساسية في نظرية التعلق، فهذه النماذج عبارة عن تصورات ذهنية تتشكل وتتطور من خلال التجارب والتفاعلات مع مقدم الرعاية، واعتمادا على كيفية تفاعل الطفل مع صور التعلق يتمّ استيعاب ودمج هذه التجارب العلائقية لتتحدّد في نوعين هما: "نموذج خاص بالذات" و"نموذج خاص بالآخرين"، والتي تؤثّر بلا شك في سلوكاته واعتقاداته وتوقعاته من علاقاته البين- شخصية وتساهم في تنظيم عواطفه .

فمن خلالها تتحدّد أنماط التعلق والتي تتميّز بالثبات والمقاومة للتغيير، وعلى أساسها تتحدّد الصحة النفسية للفرد، ونظرا لأهمية هذه النماذج الداخلية العاملة في بناء الشخصية سنحاول

تسليط الضوء على هذا المفهوم من خلال تعريفه ومعرفة محتواه ووظيفته، وابراز سبب ثبات واستمرارية هذه النماذج وكذا علاقتها بالاضطرابات النفسية المختلفة.

1- تعريف النماذج الداخلية العاملة (Modèles Interne Opérants):

يشكّل الطفل أثناء التفاعلات مع صورة التعلق - (figure d'attachement) وفي الأغلب تكون الأمّ - بنيات أو هياكل عقلية أطلق عليها بولبي (1973) اسم النماذج الداخلية العاملة، إذ أنّ هذه التفاعلات المبكرة للطفل يمكن أن تدمج في البنيات العقلية، وتصبح في النهاية أنماطا للشخصية مستقرة نسبيا، فمن خلال تفاعله مع الصورة الوالدية فإنّه يشكّل نماذجه العاملة التي تشمل تصوراته عن نفسه والتوقعات المنتظرة من صورة التعلق، بحيث تمكّنه من تفسير وفهم سلوك والدته أو بديلها.

فحسب بولبي عن (Guédeney,2016)، فإنّ النماذج العاملة الداخلية هي عبارة عن تصورات عقلية، واعية وغير واعية للعالم الخارجي والذات داخل هذا العالم، الذي من خلاله يدرك الفرد الأحداث ويبني علاقاته، كما تعدّ هذه النماذج جزء من نظام التحكم الخاص بالتعلق، إذ تساعد الطفل على التفسير والتنبؤ بالسلوكات والأفكار والمشاعر.

وفي نفس الصدد يشير (R. Milijkovitch & all, 2015, p.3) نقلا عن بولبي (1973) الى أنّ هذه التصورات تترجم أنماط التعلق التي تؤثر على الإدراك والسلوك في الأوضاع الاجتماعية.

فهذه النماذج حسب (Pinto. A & all, 2011, p p. 2,3) عن (Eagle, 2003) تعتبر ك "قواعد" إجرائية تحكم جوانب مهمة من السلوك، والتي تتجسّد في التصورات المعرفية الوجدانية للذات والآخرين والتفاعلات بين الذات والآخرين، وقد اعتبرها (Bretherton & Munholland,1999) تصميم يوجّه الفرد، الذي يدمج نموذج الذات، ونموذج للآخر، ونموذج للعلاقات، الأمر الذي يجعل توقع فعل الآخرين ممكن مثل: الأقران والمعلمين، والشريك العاطفي.

وخلص بولبي إلى أنّ النماذج العاملة الداخلية يمكن أن تساعد على توقّع وتفسير وتوجيه التفاعلات، لتساعد على جعل عاطفة الأطفال أكثر تعقيدا، وتمكنهم من التنبؤات وانعكاس ذلك على العلاقات الحالية والماضية والمستقبلية عن طريق التحفيز الداخلي.

2- تطور النماذج الداخلية العاملة:

يرى (Boissière M,2020:14) أنّ تطور وبناء النماذج الداخلية يبدأ ما بين 6 و9 أشهر ويستقر في حوالي 5-6 سنوات، إذ تتطور التصورات الأولى بفضل العوامل البيئية الحسيّة والحركية، ثم المعرفية واللّغوية شيئا فشيئا وباسمرار مع نمو الطفل، وتصبح ثابتة مع الوقت.

ومن جهتها، أوضّحت (Guedeny, 2005, p.28) أن بولبي في سنة 1980 كان قد حدد السنة الأولى من حياة الرضيع بالتقريب كبداية لتشكيل هذه النماذج، وهي الفترة التي يكتسب فيها الطفل القدرة على التعرف والبحث عن الموضوع الغائب. وأضاف بولبي أن الطفل عندما يتفاعل مع "مُقدم الرعاية" فإنه يُطور نماذج ذهنية عاملة لعلاقاته الاجتماعية المستقبلية، والتي تكون مشحونة انفعاليا، وتساعد الفرد على تفسير سلوك الآخرين؛ وهو يعني بذلك أن هذه النماذج مستمدة من الخبرات المبكرة التي ربطته بمقدم الرعاية، ومتضمنة وجود مقدم الرعاية واحتمالية تقديمه للدعم أوقات الضيق والتوتر، حيث تصبح هذه النماذج مُوجهات للعلاقات الحميمية لاحقا .

وتؤكد ميليكوفيتش (Miljkovitch, 2003) هذه الفكرة على أساس أن الطفل يقوم باستدخال العلاقات التي يعيشها ويتفاعل معها والتي تعد بمثابة الرصيد المحتفظ به من مجموع كل تجاربه الخاصة بالتعلق، والتي تؤثر بلا شك في اعتقاداته وتوقعاته من علاقاته بين-الشخصية.

وعليه يمكننا القول أنّ هذه النماذج هي تصوّر عقلي لعلاقة التعلق، فقد يتطوّر نمط التعلق الآمن عندما يكون مقدّم الرعاية متاح ومستجيب لاحتياجات الطفل المختلفة، بينما يتطوّر التعلق غير الآمن (قلق – متناقض، قلق – متجنّب، غير منظم ومشوش) عندما يكون مقدّم الرعاية غير حساس وغير متّسق أو رافض لاحتياجات الطفل الضرورية، ويمكننا توضيح ذلك في المخطّط التالي:

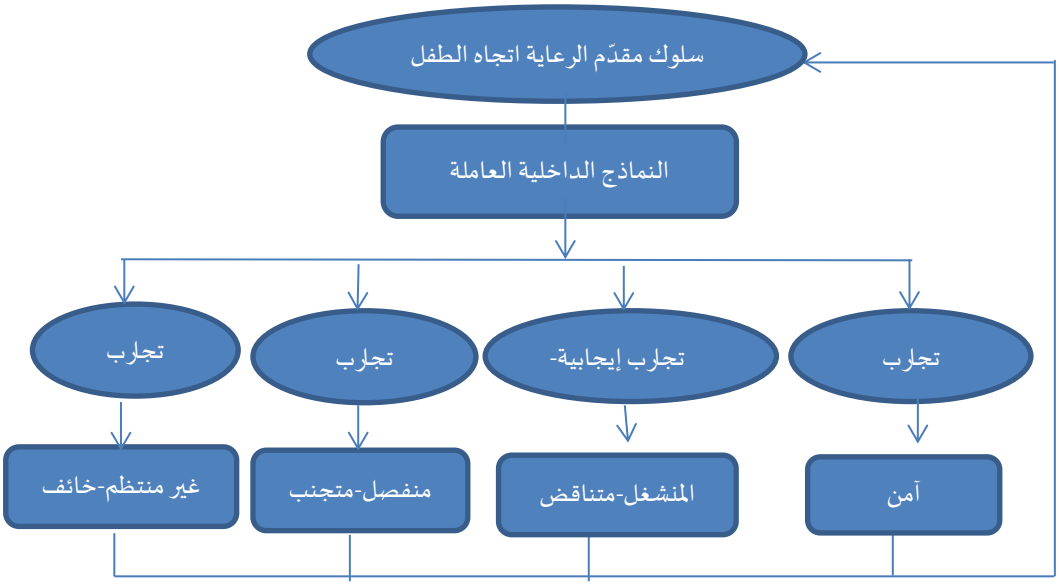

الشكل 1: تطوّر النماذج الداخلية العاملة

وعليه يمكننا اعتبار أنماط التعلق المختلفة على أنّها نماذج عمل داخلية تطوّرت من خلال التجارب الأولى مع مقدّم الرعاية.

3- محتوى النماذج الداخلية العاملة:

أعطى بولبي أهمية كبيرة لتجارب الطفل الحقيقية، لأنّه انطلاقا منها سيتمكن هذا الأخير من تعميمها على تفاعلاته الاجتماعية وتطوير نماذجه الداخلية والتي يتبناها في مختلف المواقف العلائقية اليومية، فحسب (Bretherton,1985) عن (Bowlby, 1969) فإنّ هذه النماذج تستند على التفاعلات بين مقدمي الرعاية والأطفال.

إذ أنّ محتوى هذه النماذج يتكوّن من تفاصيل هذه التجارب البين - شخصية (interpersonally)مثل: ماذا حدث؟ ومع من؟ ... وكذا من التأثيرات المرتبطة بهذه التجارب كـ: الفرح، الخوف والغضب.... وعليه فإنّ التجارب الفعلية وكيفية فهم وإستعاب الطفل لها هي من بين محتويات النماذج الداخلية العاملة.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ هذه العملية تتضمّن مفهوم الذات والآخرين، إذ أنّ هذه المفاهيم مرتبطة ارتباطا وثيقا فيما بينها وأنّها نشطة في إطار علائقي، فبولبي (269، ص. 1973) يؤكّد أنّ الطفل يطوّر مفهومه عن الآخرين من خلال فكرته عن صور التعلق(figure d'attachement) ، وهل تلك الصورة متوفّرة ومتواجدة عند الحاجة، وكيف يتوقع استجابتها."

أمّا فيما يتعلّق بمفهوم الذات فإنّ الفكرة الأساسية هي أنّه يشعر بنفسه هو، وهل هو مقبول أم لا من طرف صور التعلق.(figure d'attachement) فإحساس الطفل بالهوية وفقا لبولبي لا يمكن أن يكون إلاّ من خلال الارتباط مع الآخر.

وهنا تكمن أهمية هذه النماذج في تنمية الطفل وتوجيه مستقبله، ولهذا لا بد من للحديث عن وظيفتها وتطوّرها.

4- وظيفة النماذج الداخلية العاملة

إذا اعتبرنا أنّ سلوك التعلق يهدف إلى اكتساب أو الحفاظ على القرب من شخص مهم آخر على رأي بولبي (1984)، فإنّ وظيفة النماذج الداخلية العاملة تتمثّل في تفسير وتوقع سلوكات الشخص المتعلّق به(figure d'attachement) هذا من جهة ومن جهة أخرى تخطّط وتوجّه سلوكات الفرد في علاقة(Bowlby,1978) ، بمعنى تعمل هذه النماذج كدليل لطريقة إدراك الذات وإدراك الآخرين والتصرّف في العلاقات الشخصية. كما تذكر (Pietromonaco, 2000) أنّ النماذج الداخلية العاملة:

- توجّه الانتباه، الذاكرة وتفسّر، بطريقة تسمح للأفراد بتشكيل التوقعات من خلال المواقف البين شخصية المستقبلية.

- تطوّر مخطّطات للتحكم وتوجيه المواقف التي تواجه الفرد.

والوظيفة الأساسية لهذه النماذج العاملة هي تنظيم العاطفة فحسب (Steele & all, 2010) فإنّ أهم وظائف النماذج الداخلية العاملة هي تنظيم المشاعر الشديدة للفرد، وترجمتها بعد ذلك لاستجابات نفسية وسلوكية. يحدث هذا خلال السنوات الأولى من الحياة، فالطفل يدمج ويستدخل هذه النماذج بطريقة واعية إلى حدّ ما.

ومنه يمكن القول أنّ العلاقات بين الوالدين والأطفال تؤثّر على تكوين النماذج العاملة، التي تهدف إلى تفسير وتوقع وتوجيه التفاعلات نحو الذات والآخرين، لهذا فإنّ لهذه النماذج أهمية خاصة للذاكرة في التفاعلات الاجتماعية والعاطفية، حيث تسمح للأفراد بالتنبؤ بالمفاهيم الفردية للذات وبأفعال الآخرين سواء كانت هذه التنبؤات صحيحة أو خاطئة.

5 - الثبات والاستمرارية:

أوضّحت (Feeney &Noller,1996) أن هناك رباط مباشر بين مخططات التعلق في الطفولة وأنماط التعلق في مرحلة الرشد، وكذا بين سير الفرد في علاقاته الحميمية وما ينتظره منها وأنظمة المعتقدات لديه، كلها تتطور خلال السنوات الأولى من الحياة مع نماذج للتعلق التي غالبا ما تميل إلى الثبات مدى الحياة. وعليه فانه بفضل هذه الاعتقادات يمكن لنا أن نبني تصورات لأنفسنا وللآخرين مع ما يناسبها من وسلوكات وأن نعيد مخططات التعلق التي عشناها سابقا؛ أي أن مخططات التعلق التي نسجناها على طول مرحلة الطفولة، تعاد ضمنيا في علاقات الراشدين، حيث هناك تواصل بين أنماط التعلق من سن الطفولة إلى الرشد وهو الأمر الذي أشارت إليه (Answorth ,1978)على أساس وجود تأثير على العلاقات في هذه المراحل.

وكان بولبي (1980) قد تحدث فيما سبق عن استمرارية أنماط التعلق التي تؤدي إلى ثبات التصورات العقلية للذات وللآخرين لأن المحددات الكبرى لأنماط التعلق في الطفولة هي متشابهة في سن الرشد، إلاّ أنها تكون أكثر تعقيدا من مرحلة الطفولة .

فقد أثرى كل من (Rothbard & Shaver,1994, p.14) هذه الفكرة على اعتبار أننا نجد جذور هذه الأنماط في العلاقات الأولية القائمة مع الوالدين والتي تتطور - فيما بعد - في سياق العلاقات الحميمية.

ومن ثمة، فإن هذه النماذج تؤثر على السلوكات، خاصة وأن بولبي (1980) كان قد أوضح لنا أن الطفل يبني هذه النماذج بشكل مستمر؛ وهو بذلك يقوم في الوقت نفسه بتشكيل نموذج

للذات، ويعمل على أن يكون جديرا بحب الآخرين له، بالإضافة إلى أنه يبني نموذج خاص بالآخرين الذين يسعى أن يكونوا مستجيبين لاحتياجاته. وتتم هذه العملية البنائية المرتبطة بالتعلق والتصورات في بيئة ملائمة تسمح بذلك.

فبمجرّد تشكيلها والاستخدام المتكرّر، تصبح نماذج العمل حسب (Alexandra Pàrvan, 2017) تعمل إلى حدّ كبير خارج مجال الوعي وتكون شديدة المقاومة للتغيير، إذ يتمّ استيعاب المعلومات الجديدة ودمجها أو تشويهها لتناسب المخططات الحالية للفرد بدلا من مراجعة النماذج الداخلية في ضوء المعلومات والخبرات الجديدة. ووفقا (Bretherton,1990) فإنّ تعقيد ووحدة النماذج المعرفية سيجعلها مقاومة بشكل خاص لإعادة التنظيم وإعادة البناء بعد المراهقة .

كذلك الأمر بالنسبة (Rosalina. G all, 2019, p. 3) التي تعتقد أنّ هذه النماذج مقاومة للتّغيير، إذ يتمّ توحيد المعلومات الجديدة مع المعلومات القديمة، وهذا ما يُحدث تشويه للمعلومة الجديدة بدلا من استيعابها، فالتشويه يحدث عندما تتعارض المعلومة الجديدة مع التوقعات، حيث تتميّز هذه النماذج بالثبات والاستقرار ويرجع ذلك إلى مصدرين:

- تطوّر أنماط التفاعل، حيث يصعب الوصول إليها عن طريق الوعي، لأنّها تصبح اعتيادية وتلقائية.

- أنماط الاتّصال ذات الاتجاهين أكثر مقاومة للتّغيير من الأنماط الفردية، لأنّ هناك توقعات متبادلة.

6 - نماذج العمل الداخلية و أنماط التعلق:

قسّم ريال ديل سارت (Real Del Sarte, 2005) هذه النماذج الداخلية العاملة إلى نموذجين، هما: نموذج خاص بصورة التعلق في حد ذاتها، ونموذج آخر خاص بالذات في علاقة، معتبرا أن هذين النموذجين يتطوران أثناء مرحلة الطفولة ويستمران أثناء مرحلة الرشد.

إضافة إلى ما ذكرنا سابقا، فإنّ شارون بوند (Sharon. Bond, 2011, p.19) نقلا عن (رابر. س، 2016) أشارت إلى أنّه قد تم تناول أنماط التعلق عند الراشدين من طرف هازان وشيفر (Hazan & Shaver,1978)، إذ أنّهما حاولا دراسة أنماط التعلق التي حدّدتها ماري أنسورث وتقييم مدى وجودها لدى الرّاشدين، كما أنّ (Bartholomew) اعتمدت على أنماط هازان وشيفر الخاص بتعلّق الكبار لقياس التّعلّق، التي تتضمن بعدين هما: نموذج الذّات ونموذج الآخر. ويمكننا تحديد تعلق الراشدين في الأنماط الآتية: آمن، منشغل، خائف، منفصل- متجنب.

وفي هذا السياق، تعتبر نماذج تعلق الراشدين التي طورتها (Bartholomew)، و (Horowitz) من أكثر النماذج شهرة، حيث أنه ينسجم مع النماذج العاملة الداخلية التي افترضها بولبي (نموذج

الذات ونموذج الآخرين)؛ فهو يحتوي على بعدين: البعد الأول يتضمن التمييز بين الذات والآخرين، بينما يتضمن البعد الثاني إيجابي/ سلبي. وبناء على التقاطع الموجود بين هذين البعدين، فإن الناتج يكون أربعة أنماط لتعلق الراشدين، يمكننا صياغتها على النحو الآتي :

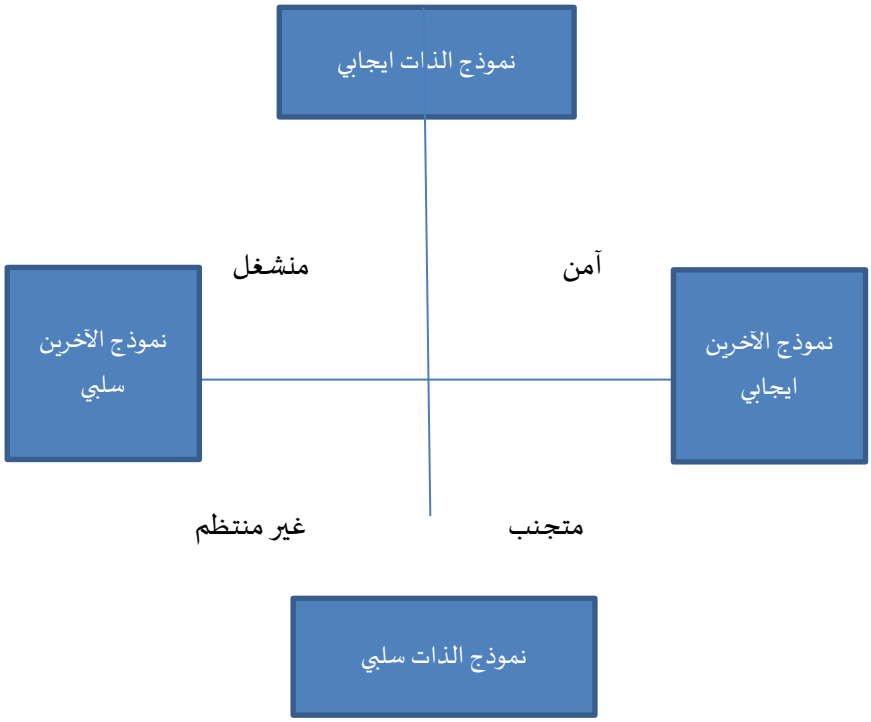

الشكل 2: أبعاد أنماط تعلق الرّاشدين.

من خلال هذا الشكل المستوحى من نموذج (Bartholomew) يتّضح لنا أنّ هناك بعدان للنماذج الداخلية العاملة (بُعد خاص بالذات وبُعد خاص بالآخرين) يحدّدان أنماط التعلق الخاصة بالرّاشدين، وفيما يلي سنبرز العلاقة بينهما:

• **التعلـق الآمـن : (Sécure)** اعتبرت جيدوني (2006) أن تقديم الرّعاية المناسبة من طرف الأم، حسب الاحتياجات والمتطلّبات النّمائية، تساهم في نقل مشاعر الأمن إلى الطفل، إذ أنّ الأمّهات اللاّتي يتميّزن في تعاملهن بتصوّرات ذهنية مرنة وإيجابية وواقعية توفّر الأمن والحماية اللاّزمة، فالتّعلق الآمن للأمّهات يقابله تعلق آمن للطّفل. كما أنّ الأشخاص في هذا النّمط حسب بيار همبرت (2003) يثمّنون تجاربهم العلائقية الماضية، سواء كانت صعبة أم لا، لكن دون التّبعية لها، وأنّهم يطورون نظاما ذاتيا مرنا ومهيأ لاكتساب المعلومات الجديدة، وذلك بفضل توازن النماذج العاملة

الداخلية على مستوى عمليتي الاستيعاب والتلاؤم، فتصبح لديهم نماذج عاملة داخلية ايجابية نحو الذات والآخرين، لأنهم يمتلكون ثقة كافية بذواتهم والآخرين.

• **التعلـق المنشغل :(attachement préoccupé)**إنّ الأشخاص في هذا النّمط يبدون عدم الراحة سواء في الاقتراب أو في الاعتماد على الآخرين، ويرجع ذلك حسب جيدويي (2006) إلى أنّ الأمّهات في مرحلة الطفولة يعملن على الحفاظ بالقرب من أطفالهنّ وتشجيع التّبعية لديهم، لكن نلمس نقصا على مستوى التّجاوب الصّحيح لحاجات أطفالهن، إذ أنّهن يتميزن بتقلّبات سلوكية وتصوّرية، وهذا ما يتّفق مع رأي بيارهمبرت (2003) إذ أنّ هذا التّذبذب في سلوك الأمّ يجعل الطّفل يعيش في مناخ متناقض يدّل على التبعية العلائقية، كما يُظهر نقصا في الثّقة بنفسه، حيث أشار بولبي فيما سبق (1973، ص. 313) إلى أنّه نتيجة خبرات الانفصال أو التّهديد بالهجر(مهما كانت الأسباب سواء مرض أو طلاق...) تجعل الطفل غير متأكّد من كون الشخص المتعلّق به يكون متواجدا ومستجيب لاحتياجاته أم لا، فإنّه يواجه بذلك موقفا مثيرا للخوف لدرجة أنه مثلا لا يمكنه البقاء وحده في الغرفة لأنه يشك أن تغيب الأم أو الحاضن، لذلك يبدو مشغولا بالمحافظة على الارتباط بمن يرعاه .

ومواصلة لأفكار جيدوني (2006) فإن هؤلاء الأشخاص يبدون فعلا منشغلين فمحتوى خطابهم (في مقياس حوار التّعلق للرّاشدين AAI):حول ماضيهم مكثّف، لكن دون التّركيز على النّقاط الأساسية، وتطغى على ذكرياتهم المتعلّقة بتجاربهم العاطفية الماضية نوع من الغضب والسّخط على والديهم والذّي لا يزال باقيا لحدّ الآن، ومنه فالأفراد في هذا النّمط يظهرون علاقات غير مستقرة وتصور الآخرين على أنهم مثاليون، أو إدراك العلاقات على أنها غير متوازنة وأنها مثالية وكذا الاعتماد الزائد على الآخر، ويتميّزون بأنه لديهم نماذج عاملة داخلية سلبية نحو الذات وإيجابية نحو الآخرين، ويتمثل ذلك بإحساسهم بعدم استحقاق محبة الآخرين وبتقييمهم الإيجابي لهم. والتّعلق المنشغل يقابله التّعلّق القلق-المتناقض في الطفولة.

• **التعلق المنفصل : (Attachement détaché)** قد يحدث أن لا يتم الردّ بشكل إيجابي لإشارات وحاجات الطفل العاطفية من طرف الأمّ أو الحاضن، ممّا قد ينقص من متطلّبات التّعلق لديه، فقد أشارت جيدونيي (2006) إلى أنّ بعض الأمّهات غالبا ما ترتكز على الجانب السّلبي لتفاعلاتهن مع أطفالهنّ، وأوضح بيار همبرت (2003) أنّ الأشخاص لا يظهرون مشاعرهم بخصوص تجاربهم العلائقية، ولا يتذكّرون أحداث طفولتهم إلاّ بصفة محدودة، كما أنّ لديهم ثقة بذواتهم. وفي هذا الخصوص أوضّحت جيدونيي (2006) أنّه نلمس لديهم عدم القدرة على استرجاع الذكريات المرتبطة بالطفولة، أمّا في حالة التطرق لمثل هذه المواضيع فيكون خطابهم غير منسجم

بين الوصف الايجابي للوالدين دون ربط ذلك بذكريات محدّدة، كما يُظهرون بعض التّناقض في هذا الخصوص، ويتميز الأفراد في هذا النمط بأن لديهم نماذج عاملة داخلية إيجابية نحو الذات وسلبية نحو الآخرين، ويعد تجنبهم للآخرين وسيلة للوقاية الذاتية من الرفض وخيبة الأمل.

• **التعلق الخائف :(Attachement Craintif)** بالنسبة لبيارهمبرت (2003) فانّ الأشخاص الذين عانوا من تجارب صادمة كانفصال واعتداء أو حداد غير مرصّن لا يستطيعون تبنّي استراتيجية تعلّقية سليمة، إذ أنّ الأم حسب (Goldbiter & Merinfeld, 2005, p.17) تمثّل لهم مصدرا للأمان والخطر في نفس الوقت، حيث أنّ الأمّهات في هذا النّمط تعرّضن لصدمة ولا يستطعن تقديم الأمان للطّفل، وأضافت جيدوني (2006) أنّ خطابهن بخصوص تجاربهن الصادمة يتميز بالاختلال في محتواه وبالفوضى؛ حيث يشير هذا الصنف من التعلق إلى نماذج عاملة داخلية سلبية نحو الذات والآخرين معا، إذ يتميز الأفراد في هذا النمط بشعورهم بعدم الكفاءة، إلى جانب اعتقادهم أن الآخرين غير جديرين بالثقة.

يمكننا توضيح وتلخيص هذه الأفكار في الجدول التالي عن (Bartholomew, Horowitz,1991):

جدول1: أنماط تعلق الراشدين ونماذج العمل الداخلية للذات والآخرين (Bartholomew, Horowitz,1991)

نمط التعلق	الصورة الذاتية	صورة الآخرين	العلاقة الشخصية
التعلق الآمن	موجبة	موجبة	مرتاح مع التقارب والحميمية
التعلق المنشغل	سالبة	موجبة	الرغبة الشديدة في التقارب مع الخوف من الهجر
التعلق المنفصل أو المتجنب	موجبة	سالبة	غير مرتاح مع التقارب والاعتماد المفرط على الذات
التعلق الخائف أو غير المنتظم	سالبة	سالبة	الخوف من التقارب والتجنب الاجتماعي

نستنتج مما سبق أن العلاقات بين الراشدين ووالديهم أو مع شركائهم تظهر خصائص روابط التعلق السابقة. فقد أوضحت (رابر، 2016) أنه إذا اختبر الطفل نوعية جيدة من العناية والاهتمام كمصدر للأمن والمساندة، فإنّه يطوّر صورة إيجابية للذّات ويتوقّع ردّود أفعال إيجابية نحوه من طرف الآخرين حسب ما أكّدته شارون بوند (2010، ص. 14)، وعلى العكس من ذلك فإنّ الأطفال - وانطلاقا من علاقتهم غير الملائمة مع مقدّم العناية- أي الّذين لديهم نموذج ينقصه الأمن (يرتكز

على النّقائص المُعاشة في الطفولة بالنّسبة لاحتياجات التعلّق)، يُطورون صورة سلبيّة للذّات ويعمّمون الاعتقادات السلبيّة إزاء العلاقات مع الآخرين، هذا الاختلال في التنظيم العاطفي قد يؤدّي أو يساهم مع عوامل خطر أخرى إلى ظهور الاضطرابات النفسية.

7 - التعلق والاضطرابات النفسية:

تتحدّد الصحة النفسية للفرد حسب نظرية التعلق من خلال نوعية العلاقة بين الطفل ومقدّم الرعاية، فهذه العلاقة إمّا أن تؤدي إلى تعلقات آمنة أو إلى تعلقات غير آمنة؛ إذ يعتبر التعلق الآمن عنصرا أساسيا ومهما للصحة النفسية، وكعامل وقائي ضدّ نشوء الاضطرابات النفسية، بينما التعلق غير الآمن يخلق مشاكل على المستوى النفسي والعلائقي بسبب اختلال التوازن العاطفي وسوء التكيف الاجتماعي، كما تلعب النماذج العاملة الداخلية دورا مهما في بلورة هذه الاضطرابات باعتبارها جزءا من نظام التحكم الخاص بادراك الفرد لنفسه وللآخرين وتساعد على التفسير والتنبؤ بالسلوكات والأفكار والعواطف، لهذا يمكن أن يكون التعلق غير الآمن أصل الاضطرابات النفسية التي تصنف إلى فئتين رئيسيتن هما: الاضطرابات الداخلية (اضطراب القلق والاكتئاب والحالات الحدية...)، والاضطرابات الخارجية (العدوانية واضطرابات الأكل، واضطراب السلوك...) وللتوضيح أكثر سنعرض أنماط التعلق غير الآمن وما يوافقها من اضطرابات نفسية.

7-1- التعلق المنشغل: يتجلى من خلال عدم التوازن في استثمار العواطف والقدرات المعرفية، حيث أنّ العاطفة هي التي تطغى على ادراكات ذوو التعلق المنشغل، اذ يعكس فرط اليقظة في العلاقة والخوف من الهجر أو الرفض. فغالبا مايكون إفراط في تنشيط العواطف السلبية فيما يتعلق بتصوراتهم لأنفسهم، ولديهم الميل في التشكيك من قيمة مهاراته الخاصة، ما يحافظ على صورة الذات السلبية وضعف الثقة بالنفس، فهذه الرؤية المهزوزة للذات حسب (Pionnié, Atger, 2003) تزيد من شعور الاعتماد على الآخرين، ونتيجة الخوف من الهجر أو الرفض فإنّهم يلجؤون إلى التنشيط المفرط لنظام التعلق بهدف إعادة التأكيد على ديمومة الارتباط بالآخر، ما يُبين الضعف في النرجسية (الاستقلالية، الهوية). من وجهة نظر علم النفس المرضي، فإنّ هذا النمط من التعلق يكون عاملا حاسما في ظهور الاضطرابات الداخلية، والتي تشمل: اضطراب الشخصية من النوع الهستيري، النرجسي، الحالة الحدية، اضطراب القلق الاكتئابي (anxio- dépressif)، اضطراب الأكل: الشره المرضي (boulimie)، كما يمكن أن يتطوّر الاضطراب نحو الأعراض الخارجية مثل الادمان أو الانحراف.

7-2- التعلق المتجنب- المنفصل: أشار (Irons. Gilbert, 2005) أنه يوجد انقسام بين الإدراك والعواطف، فالأفراد ذوو التعلق المتجنب يحافظون على المسافة ما بين عملياتهم العقلية وبين

مشاعرهم وعواطفهم. فعدم وجود بناء مشترك مع صور التعلق منذ الطفولة يسبب لهم صعوبات في التنظيم العاطفي، كما أنّ هذا الانقسام بين الادراك والعاطفة يؤدّي إلى مشاعر منفصلة وانهيار استراتيجيات الدفاع المتعلقة بانعدام الأمن النفسي وانعدام التنظيم العاطفي، لهذا يلجأ ذو التعلق المتجنب إلى الحفاظ على صورة ذاتية ايجابية وتبني استراتيجيات علائقية تهدف إلى التقليل من احتياجات التعلق بالآخرين، وهذه الاستراتيجية مسؤولة عن ضعف الأداء الاجتماعي في العلاقات، ومهاراته الاجتماعية محدودة، كما يميل إلى أن يكون عدائيا أو فخورا ويبقى على مسافة من الآخر. يؤدي نمط التعلق التجنبي حسب (Pionnié, Atger, 2003) إلى حدوث اضطرابات نفسية من النوع الاستعانة بمصادر خارجية، وهذا يشمل: الشخصية المعادية للمجتمع، اضطرابات السلوك، اضطراب الأكل: فقدان الشهية(anorexie)، تعاطي المخدرات، الاكتئاب، والسلوك الانتحاري، وكذلك بعض اضطرابات القلق، هذا يكشف عن استراتيجيات التكيف للهروب والتجنب من المعاناة نحو التعبير الخارجي، كما أن عدم القدرة على التعبير عن مشاعره من خلال الكلمات يلجأ إلى السلوكات الإدمانية كوسيلة للتعبير عن المعاناة التي لا يمكنه التعبير عنها بالتواصل مع الآخر.

7-3- التعلق غير المنتظم: على مستوى النماذج العاملة، فإنّ الشخص ذو التعلق غير المنتظم على عكس الأنواع الأخرى من التعلقات، فقد أشار (Bowlby, 1973) أنه في مرحلة الطفولة يتمّ دمج مجموعة من التصورات المتعدّدة وغير المتوافقة، تسمى نموذج متعدّد، لذلك لا يمكنه بناء نموذج موحّد ومتماسك، وأضاف (Main. Hesse, 1990) أنّ ذو التعلق غير المنتظم لا يمكنه استيعاب التجارب المؤلمة، ويصبح الفرد بذلك أكثر عرضة للإصابة بالصدمات اللاّحقة التي تخاطر بإعادة تنشيط تعدّد التصورات، وهذا ما يفسّر ظهور الأعراض الفصامية لمواجهة الأحداث الضاغطة، لأنّ هذا النمط من التعلق يحدّ من القدرات التكيّفية في مواجهة التوتر والاحساس العاطفي. كما أنّ هناك ارتباط ايجابي ما بين التعلق غير المنتظم والاضطرابات الداخلية والخارجية كالحالة الحدية، اضطراب السلوك (الادمان)، تكيف سيّء للضغط (stress). ويمكننا تلخيص العلاقة بين التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية في الجدول التالي:

جدول2: التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية (من إعداد الباحثة بالاعتماد على مصادر مختلفة)

نمط التعلق غير الآمن	النماذج العاملة الداخلية	الاضطرابات النفسية
التعلق المنشغل	-الصورة الذاتية سلبية. - الاكتفاء الذاتي في العلاقة مع الآخر. - نقص الثقة في النفس. - اليقظة المفرطة في العلاقة (الخوف من الهجر أو الرفض).	الاضطرابات الداخلية: - اضطراب الشخصية من النوع الهستيري - نرجسي. - حالة حدية.

	- المهارات الاجتماعية محدودة.	- اضطراب القلق الاكتئابي. - اضطراب الأكل: الشره المرضي.
التعلق المتجنب - المنفصل	- فرط التقييم الذاتي. - أخذ مسافة بينه وبين الآخرين. _ نقص المهارات الاجتماعية.	الاضطرابات الخارجية: - اضطرابات الشخصية من النوع المضاد للمجتمع. - عدوانية. - الاكتئاب والسلوكات الانتحارية. - الادمان - اضطرابات الأكل: فقدان الشهية.
التعلق غير المنتظم	- تقدير منخفض جدا للذات. - غياب نموذج ثابت للعلاقة بالذات والآخرين يتأرجح بين البحث عن التقرب من الآخرين ومحاولة قطع الروابط.	-اضطراب مختلط: -حالة حدية. -اضطراب السلوك (الادمان) - سلوك المخاطرة. - تكيف سيّء للضغط.

ويرى (Atger. F, 2015, p. 46) أنّ عدم الأمان في علاقات التعلق ليس اضطرابا في حدّ ذاته ولكنه يصاحبه ضعف في الصورة الذاتية؛ وأنّ الفرد يخاطر باللّجوء إلى استراتيجيات دفاعية ممّا يجعله أكثر عرضة للمعاناة النفسية والمشاكل السلوكية إذا أضيفت عوامل الخطر الأخرى، وأشار إلى أنّ الغالبية العظمى من الذين يصابون باضطراب عاطفي أو سلوكي لديهم نمط التعلق غير الآمن، وهذا ما تؤكّده دراسة (Rosenstein et Horowitz, 1996) نقلا عن (Atger. F, 2015) والتي مفادها أنّ 97% من المراهقين ذو التعلق غير الآمن في عيّنة من المستشفى تبيّن أنّ هناك روابط بين طبيعة المظاهر النفسية المرضية ونوع التعلق؛ في نفس الدراسة كان لدى معظم الأشخاص الذين يعانون من اضطراب السلوك (اضطراب خارجي) لديهم نمط " متجنب – منفصل"، ومعظم المراهقين الذين يعانون من اضطراب عاطفي (اضطراب داخلي) لديهم نمط "منشغل".

وعليه يمكن القول بوجود علاقة ايجابية بين التعلق الآمن والصحة النفسية، وأنّ التعلق غير الأمن هو عامل ضعف للمظاهر النفسية المرضية، وقد أكّدت الدراسات على وجود صلة بين التعلق القلق المنشغل والاضطرابات الداخلية، والتعلق المتجنب والاضطرابات الخارجية، ومزيج من الاضطرابات النفسية في التعلق غير المنتظم، كما يمكن أن توجد بعض الأمراض النفسية في كلّ أنماط التعلقات غير الآمنة مثل الحالات الحدية.

الخاتمة:

سمحت لنا نظرية التعلق بتقدير أهمية علاقة الوالدين (خاصة الأمّ) بالطفل في المراحل العمرية الأولى للحياة، وسمحت لنا بفهم تأثيرها الطويل المدى للتعلق الآمن وغير الآمن عن طريق النماذج الداخلية العاملة، فالفرد يكوّن تّصورا لذاته وللآخرين حسب نوعية أنماطه التعلقية، فإذا كان نمط تعلقه آمنا يكون تصوره لذاته وللآخرين إيجابيا، وإذا كان العكس أي نمط تعلقه غير آمنا يكون تصوره لذاته وللآخرين سلبيا.

كما أنّ هذه النماذج تتحكّم في اعتقادات وادراكات وعواطف الفرد، وغالبا ما تميل إلى الثبات والاستقرار مدى الحياة (في غياب التدخل والعلاج)، حيث أنّنا نعيد انتاج أنماط التعلق التي عشناها سابقا والتي تمّ تسجيلها في مرحلة الطفولة ضمنيا في مرحلة الرشد، أي أن هذه النماذج تعمل على استمرارية أنماط التعلق، فمن خلالها تصبح بنية الشخصية مثبّتة ذاتيا من خلال آليات التصور التي تعمل على تسجيل الخبرات من أجل أن يتم تمثلها بناء على اعتقادات جاهزة، هذه الآليات تطابق الخبرات الجديدة مع التراكيب المعرفية الجاهزة و الموجودة مسبقا والمتميزة بعدم مرونتها في التعامل مع المعلومات الجديدة، وعلى هذا الأساس، أوضّح بولبي (1980) بأنه لكي يكون الفرد قادرا على التنبؤ وتنظيم عالمه، فهو بحاجة إلى نموذج آمن مستمد من محيطه يساعده على تفجير قدراته الكامنة وطاقاته المخزّنة، على اعتبار أن هذه النماذج الداخلية هي خرائط تُستعمل للتنبؤ بإدراك الذات وبسلوك الآخرين في الحياة الاجتماعية. وعليه يمكن القول بوجود علاقة ايجابية ما بين التعلق الآمن والصحة النفسية وما بين التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية.

- قائمة المراجع:

- رابـر سامية (2016): أنماط تعلق الراشدين وأثرها على تصور الذات لدى المدمنين على المخدرات، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة لونيسي علي (البليدة 2)، الجزائر.

-Ainsworth & all (1978): Patterns of Attachement: A Psychological Study of the Strong Situation. Hillsdale, N. J: Erlbaum.

-Alexandra Pàrvan. (2017): Changing Internal Representation of self and other: Philosophical Tools for the Attachement- Informed psychotherapy with Perpetrators and Victims of Vilence, Philos Psychiatr Psychol,24(3):241-255 .

- Alexandra Pinto & all (2011) : Models internes Opérants de l'attachement et relation d'objet internalisées : l'analyse du devenir des relations « attachement par les récits à compléter », Devenir, vol 23, N : °2, PP 145- 159 .

- Atger Frédéric (2015) : Attachement, psychopathologie et traitement des adolescents, Enfances et psy CAIRN.INFO, N : °66, PP 44- 53 .

- Bartholomew K, Horowitz LM. (1991): Attachement styles among young adults:Atest of a four category model. Journal of personality and social psychology. 61(2) :226-244.

- Boissière Marie, (2020) : Attachement et troubles de l'attachement chez l'enfant place. Evaluation clinique. U.F.R des sciences Medicales, These pour l'obtention du : Diplôme D'État de Docteur en Medecine .

- Bowlby J. (1969). Atachement et perte, vol. 1 : l'attachement, trad fr Kalmanovitch J., paris, éd. P.U.F. (1978)

- Bowlby J. (1973). Attachement et prete, vol 2 : la séparation, angoisse et colére, trad. Fr. de panafieu B, paris éd P.U.F (1988)

- Bowlby J, (1980). Attachement et prete, vol 3 : la prete, tristesse et déparession, trad. Fr. weild D, paris, éd P.U.F (2002)

- Bretherton, I (1985): Attachment theory: Retrospect and prospect. Dans Bretherton. I et Waters. E, Growing points of attachment theory and research. Monographs of the Society for Research in Child Development, vol 50 (1-2), N: °209, PP 3- 35.

- Bretherton, I (1990): Open Communication and internal Working models: The role in the development of attachment relationships. Dans Thompson. R, Socioemotional Development: The Nebraska Symposon on Motivation. Lincoln: University of Nebraska Press, pp 57-113 .

- Bretherton, I, Munholland, K.A(1999): Internal Wrorking models in attachment relationships: A construct revisited. Dans J. Cassidy et P.R Shaver, Handbook of Attachment: Theory, Research and Clinical Application, New York The Guilford Press, PP 89- 111.

- Feeney, j. A, Noller, P (1996): Adult Attachment. Thousand Oaks, CA: Sage

- Gabriella Rosalina (2019): Correlation Between Internal Model of Attachment and Marital Satisfaction of Young Adult, Atlantis Press, Advances in Social Sciences and Humanities, vol 439, PP 662- 669.

- Goldbeter Merinfeld, E, (2005): Theorie de l'attement et Approche systémique. In cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux,2005/2n :°35,p :13-28.

- Guédeney N (2005) : L'apport des travaux sur l'attachement : maintien ou rupture des liens : quel prix à payer ? In : protection de l'enfance, maintion rupture et soins des liens, In M.Gabel, M. lamoure, M. Manciaux, Edts Paris :Fleurus.

- Guédeney N. Guédeney A (2006) : L'Attachement : Ed Masson. Paris.

- Guédeney N. Guédeney A (2016) : L'attachement : approche théorique, 4 éme Ed. Paris: Elsevier Masson .

- Main, M. Hesse, E (1990): Parents unresolved traumatic experiences are related to infant disorganized attachment status: Is frightened and/ or frightening parental behaviour the linking mechanism? Attachment in the preschool years: theory research, and intervention:161- 182.

- Irons, C. Gilbert, P (2005): Evolved mechanisms in adolescent anxiety and depression symptoms: the role of the attachment and social rank systems. journal of Adolescence 28(3): 325-341.

- Milijkovitch.R & all (2003) : Les representation d'attachement du jeune enfant. Développement d'un système de codage pour les histoires à compléter, Devenir, Vol : 32, No :2, PP : 143-177.

- Milijkovitch.R, Mossb.E, Bernierc. A, Pascuzzob. K, Sandera. E (2015): Refining the assessment of internal working models, Attachment & Human Development. Routledge, PP:3- 32.

- Pierrehumbert B (2003) : Le premier lien, théorie de l'attachement, Paris, Ed. Odile Jacob .

- Pietromonaco, P. R (2000): The Internal Working Models Concept; What Do We Really Know About the self in Relation to Others? Review of General Psychology, vol 4, N: °2, PP 155- 175 .

- Pietromonaco, P. R & Feldman Barrett, L.F, (2016): The internal working models concept: What do we really know about the self in relatin to other? Review of General Psychology,4(2),155-175.

- Pionnié, N. Atger, F (2003): Attachement et psychopathologie, perspective psy, 42(2) : 129- 133.

- Rothbard, J.C & Shaver, P.R (1994): Continuity of Attachment across the life span. In M. B. Sperling & W.H. Herman, Attachment in adults: Clinical and developmental perspectives, New York: Guilford Press, PP 31-71.

- Steele, M. Murphy, A& Steele, H (2010): Identifying therapeutic action in an attachment- centered intervention with high risknfamilies. Clinical Social Work Journal, Vol: 38, No:1: 61-72.

- Zimmermann, P, (1999): Structure and functions of internal working models of attachment and their role for emotion regulatin, Attachment& Human Development, Vol:1, No:3,291-306.